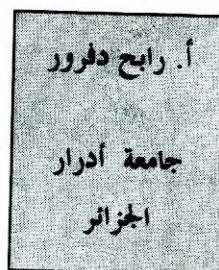


ظاهرة اجتماع الساكنين بين إثبات القراء ورد النحاة

(قراءة نافع نموذجا)



إن المعركة الدائرة بين القراء النحاة معركة قديمة قد
القواعد النحوية و المدونات اللغوية ، فما أن بدأ النحاة في
تعقيد القواعد اللغوية ووضع أصولها حتى بدأ الخلاف في
الاعتبار بالشاهد القرآني الذي قبل من حيث العموم لأن

القرآن عربي نزل علىنبي عربي وقام بتلاوته ونقله قوم عرب ، وأما من حيث
التفصيل فإن ثمة من أوجه القراءات ما لقي اعتراضا وردا من النحاة خصوصا
البصريين منهم لما قام عليه مذهبهم من اعتماد القياس و التقليل من الاعتبار
بالسماع . و من ثمة أخذ أصحاب الدراسات القرآنية في تبرير و توجيه ما خيل
للنحاة أنه شذوذ عربي وخروج عن الصحيح المقبول لغة فوجهوا القراءات
المردودة و خرجوها على مخارج تستقيم مع القواعد والأصول و من هؤلاء مثلا
ابن جني الذي ألف كتابه : المحتسب في توجيه القراءات الشاذة و ابن خالويه في
كتابه الحجة و هو في تسوبي القراءات السبع و غيرها .

و من بين المسائل التي أنكرت من طرف النحاة على القراء مسألة الجمع بين
الساكنين لدى مواضع لم يحيطها النحاة و لم يجدوا لها مبررا و لا موجها. وسوف
نحاول إلقاء بعض الضوء على هذه المسالة من خلال ما جاء في قراءة نافع من
مواضيع جمع فيها بين الساكنين واعتراضات النحاة عليها وكيفية توجيه اعتراضاتهم

مسألة اجتماع الساكنين عند النحاة :

إن الأصل في اللغة العربية إلا يجتمع ساكنان متواillان سواء أكان ذلك في
كلمة أو في كلمتين إلا في مواضع قليلة اغترف فيها ذلك لأسباب صرفية، وهذه

الواضع ظلت محل خلاف بين النحاة ، وكان كل فريق منهم يضع لذلك حدا لم يضعه الثاني ، قال أبو حيyan الأندلسي : (إن الكوفيين أجازوا الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازها البصريون) (1). و كان الحد الأدنى الذي حصل فيه الاشتقاق بينهم هو جواز ذلك في الموضع الآتية (2).

أ - إذا كان الساكن الأول حرف مد ولين أو ياء تصغير و الثاني سندًا نحو : دآبة و خويصه (تصغير خاصة) .

ب - إذا كان ذلك في الكلمات المسرودة نحو: قاف وميم و نون حرفيانها بحرى الموقف عليه .

ج - الكلمات الموقف عليها نحو : بكر و ثوب وقال.

ظاهرة اجتماع الساكنين في قراءة نافع :

إن الملاحظ لقراءة نافع و المتأمل فيها يجدها قد اشتغلت على جملة من صواعق اجتماع الساكنين على غير هذا الحد الذي ذكرنا و تمثل ذلك فيما يلي :

1 - في حال اجتماع هرتين مفتوحتين بعد الثانية ساكن حيث تبدل الصورة الثانية ألفا و يجتمع ساكنان وذلك نحو : أأنت و جاء امرنا و أأندرهم .

2 - في كلمة (نعمًا) الواقعة في قوله تعالى : (إن تبدوا الصدقات فعما هي و إن تخفوها وتتوتها القراء فهو خير لكم) (3) ، وفي قوله تعالى (إن الله نعمًا يعظكم به) (4) ، حيث قرأ نافع من راوية قالون بإسكان العين و تشديد الميم (5) .

3 - في كلمة (تعدوا) الواقعة في قوله تعالى : (و قلنا لهم لا تعدوا في السبت) (6) ، حيث قرأ نافع من راوية قالون بإسكان العين و تشديد الدال (7) .

4 - في كلمة (محياي) الواقعة في قوله تعالى: (قُلْ إِنْ صَلَّى و
نسكي و محياي و ماتي لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (8)، حيث قراء نافع بإسكان الياء من
رواية ورش (9).

5 - في كلمة (يهدي) الواقعة في قوله تعالى: (أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ
يَهْدِي) (10)، حيثقرأ نافع من روایة قالون بإسكان الهاء وتشديد الدال (11).

6 - في كلمة (يخصمون) الواقعة في قوله تعالى: (مَا يَنْظَرُونَ إِلَّا
صِحَّةً وَاحِدَةً تَأْخِذُهُمْ وَهُمْ يَخْصِمُونَ) (12)، حيث قرأ نافع من روایة
قانون بإسكان الخاء وتشديد الصاد (13).

اعتراضات و توجيهات:

لقد اعترض جملة من النحاة - خاصة البصريين منهم - على قراءة
نافع في مسألة الجمع بين الساكدين، فكان منكم المنكر لها أصلاً، و كان منهم
المتهم نقلتها بالوهم و الحطا، و كان أخفهم اعتراضاً من حاول أن يجد لها مخرجاً
 ولو كان بعيداً. فهذا الزمخشري يعتبر إبدال ثانية الهمزتين المفتوحتين الساكدين ما
بعد لحنا في لغة العرب فقال: (فَإِنْ قَلْتَ مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَقْلِبُ الثَّانِيَةَ أَلْفَاقْلَتْ هُوَ
لَا هُنْ خارج عن كلام العرب خروجين أحدهما: الإقدام على جمع الساكدين على
غير حده ...) (14).

وإنكار الزمخشري مردود وهو في ذلك محجوج حيث جاز اجتماع
الساكدين إذا فصل بينهما بمد مشبع، والإمام نافع لا يدل إلا بشرط إشباع المد
بين الساكدين فيما وقع من ذلك.

وقال سيبويه في نحو الكلمات الأخرى: (... و إذا كان قبل الحرف
المتحرك الذي بعده حرف مثله سواء حرف ساكن لم يجز أن يسكن، ولكنك إذا
شتت أخفيت و كان بزنته متحركاً) (15). ونحو هذا النحو جمهور البصريين

حيث قال ابن يعيش لدى قوله تعالى : (الرعب بما) تعليقاً على قراءة أبي البصري : (و حكى عنه (الرعب بما) بالادغام و هو غير جائز عندنا للجميع بين الساكدين على غير شرطه ... و أجازه الكوفيون) (16) .

وقال أبو علي الفارسي : (و من قرأ فنعاً بسكن العين لم يكن قوله مستقيماً عند النحويين لأنَّه جمع بين ساكدين الأول منهما ليس بحرف مد ولذين ... و لعلَّ أبي عمرو أخفى الحركة و احتلساها... فظنَّ السامع الإخفاء إسكاناً للطيف ذلك في السمع و خفائه) (17) .

ويجب عن هذا أنَّ هذا المسموع لم يكن عن أبي عمرو فحسب بل هو مروي عن نافع أيضاً، وهو ما أقرَّه القراء في زمن نافع ولم ينكروه عليه .
و قال أبو جعفر النحاس : (و أما الذي حكى عن أبي عمرو و نافع من إسكان العين فمحال) (18) .

و قال الزجاج : (... و لا هذه القراءة عند البصريين جائزة البتة، لأنَّ فيها الجمع بين ساكدين من غير حرف مد ولذين) (19) .

وتوجه قراءة نافع أمام هذه الاعتراضات بأنَّ هذا الذي رده جماعة من النحاة أجازته جماعة أخرى منهم، ومن هؤلاء المحيزين الكوفيون ومنهم القراء (20) و جماعة من نحاة القراء كابن سلام (21)، وكذلك بما يثبت عن بعض العرب من أنهم جمعوا بين ساكدين في نحو هذه الحالة، و من ذلك قولهم: (شهر رمضان) بإدغام الراء (22) .

وإضافة إلى ذلك أنَّ هذه اللغة لغة النبي (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث ورد عنه قوله : (نعماً بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ) (23) بإسكان العين.
و قال أبو حيان : (وليس العلم مخصوصاً ولا مقصوراً على ما نقله بصريون، فلا ينظر إلى قولهم : إنَّ هذَا لَا يجوز) (24) .

و ما جاء من اجتماع الساكين في كلمة (محباني) فقد اعترض عليه أيضا جماعة منهم فقال الزجاج : (وأما (محباني) فلا بد من فتحها)⁽²⁵⁾ وقال النحاس : (ولم يجزه أحد من النحويين إلا يونس، وإنما أحجازه لأن قبلي ... وإنما منع النحويون هذا لأنه جمع بين ساكين و ليس في الثاني إدغام)⁽²⁶⁾ وقال الفارسي : (هي شاذة في القياس لأنها جمعت بين ساكين، و شاذة في الاستعمال)⁽²⁷⁾.

و وجهت قراءة نافع أمام هذه الأقوال على أنها أجري فيها الوصل مجرى الوقت وهذا ما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي⁽²⁸⁾ ، و وافقه الخطيب الشربيني .

و الأولى - من هذا - القول بقول نحاة الكوفة لأنه ليس من الضرورة أن يكون ما وضعه البصريون حدا لا محيد عنه وأنه يجب تحرير القراءة وفقاً فطالما الأمر خلاف بين النحاة فقول بعضهم ليس حجة إلا عند إجماعهم . وخاصة عندما بدا جلياً أن المعركة ليست بين النحاة والقراء وإنما هي بين النحاة أنفسهم . والحق أن قراءة نافع كانت ذات آثار هامة تمثل في أنها كانت شاهدة على أقوال بعض النحاة وعلى بعض اللغات العربية قبل ذلك ، غير أنها نرى أنغلب الأحوال أن جماعة من النحاة لا يرضيهم أن يخالفوا قواعدهم التي نصبوها لأنفسهم فنجدتهم بين راد للقراءة و منكر لها وبين مؤول تأويلات ومقدرات بعيدة ، لا شيء إلا لأن القراءة جاءت على خلاف الشواهد الشعرية العربية التي استبط منها قاعدته النحوية أو الصرفية ، وكان الأولى من ذلك أن يحكم القراءة المتواترة بدل الشاهد العشري الذي غایة أمره أنه ثابت آحاداً ، ناهياً عن بعض الشواهد التي لا يعرف قائلوها . و الحق أن رأي النحاة في مثل هذه

السائل فيه شطط وخروج عن المنطق السليم في إثبات القاعدة اللغوية ، و ما كان من في مترتهم أن يكون منه ذلك (29) .

المواهش

- . 48-47/1 (1) - البحر المحيط لأبي حيان : .
- . 430-429/4 (2) - ضياء السالك إلى أوضاع المسالك : .
- . 270 (3) - البقرة : .
- . 57 (4) - النساء : .
- . 84 (5) - التيسير في القراءات السبع ، ص: .
- . 153 (6) - النساء : .
- . 98 (7) - التيسير : .
- . 164 (8) - الأنعام: .
- . 108 (9) - التيسير ص: .
- . 35 (10) - يونس: .
- . 122 (11) - التيسير : .
- . 48 (12) - بس: .
- . 184 (13) - التيسير ص: .
- . 154/1 (14) - الكشاف : .
- . 437/4 (15) - الكتاب : .
- . 2- 145/10 (16) - شرح المفصل لابن ععيش : .
- . 381/2 (17) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : .
- . 281/2 (18) - إبراز المعانى من حرز المعانى : .
- . 354/1 (19) - معانى القرآن وإعرابه للرجاج : .
- . 18/1 (20) - معانى القرآن للفراء: .
- . 372/2 (21) - إبراز المعانى : .

- (22) - النشر في المراجعات العشر : 236/2 .
- (23) _أخرجها الحكم وأحمد .
- (24) - أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، ص: 399 .
- (25) - معاني القرآن وإعرابه للراجح : 311/2 .
- (26) - الخامع لأحكام القرآن : 99/7 .
- (27) - البحر المحيط : 262/4 .
- (28) - المصدر نفسه: 262/4 .
- (29) -انظر : دفاع عن القراءات في مواجهة الطبرى المفسر ، ص: 15-16 .